المحاضرة: (12)

- المعرفة والسوق:

من منظور سوسيولوجي فإن نمو المعرفة قد يتجسد في بنية الاتصال التي تعتبر في تأسيسها شفهية مما شكّل وفعّل اقتراب الأفراد من بعضهم البعض ودعم العلاقات وأدى إلى التماسك الاجتماعي،[1] ومن مقترب سوسيولوجي متعمق قد تعتبر اللغة وسيلة إعلامية اتصالية محورية للأفراد والمجتمعات، وذلك باعتبار وظيفتها الأساسية التي تتمثل في نشر وتوصيل المعلومة السائدة والمرتبطة بالسلوك الإنساني، "ففي اللغة هناك ما يسمى بالإشارات والرموز التي لديها دلالة عند كل من المتصلين والمتلقين"،[2] كما اعتبر مارشال ماكلوهان *(Marchall Macluhan)* اللغة المطبوعة وسيلة شخصية للتعليم والاعتماد على الذات،[3] وضمن محور اتساع حقل الفضاء الإعلامي والاتصالي *(Champ)* قد تتحدد بنية الاتصال في نقطة التقاطع التي التقى فيها عالم اللغة وعالم التقنية *(Technique)*، أي هناك إعادة تشكيل *(Reconfiguration)* تقني للغة، مما قد يساهم وبشكل مكثف في بروز نسق تكنولوجيا الإعلام والاتصال *(TIC)*.

ولفهم النسق العام *(Structure Générale)* لتكنولوجيا الإعلام والاتصال ضمن السوق المجتمعي، قد يتطلب تحليل العناصر البنائية المشكلة لهذا النسق وتشخيص أجهزة الربط الشبكي في عملية الاتصال المشكلة للنسق الإعلامي الاتصالي الجديد، كما قد يتطلب تحليل مفاهيمي ومقاربات نظرية لعملية الاستخدام *(Usage)*، وهذا باعتبار وجود "نظريات مرتبطة بالتكنولوجيا وأخرى مرتبطة بالمجتمع"،[4] ففهم هذا التداخل وهذه العلاقة قد يتأسس وفق تصور *(Représentation)* اعتبار تكنولوجيا الإعلام والاتصال تتجاوز تأثيراتها الأبعاد المادية لحياة الفرد، كما قد يتطلب فهم بنية المجتمع من خلال مكوناته وطبيعة أسلوب تنظيمه، وكذلك تحليل العمليات الأساسية لوظائفه في ظل تصور حتمية *(Déterminisme)* تكنولوجيا الإعلام

[1]– فضيل دليو: التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1،عمان، 2010م، ص.41.

[2]– منال طلعت محمود: مدخل إلى علم الاتصال، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2002م، ص.30.

[3]– فضيل دليو: التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال، مرجع سابق، ص.42.

[4]- *David Holmes: Communication Theory, Media, Technology and Society, SAGE. 2005.P.87.*

والاتصال، وكل هذه العلامات والنقاط الارتكازية بهدف القراءة السوسيولوجية المتعمقة مجال العلاقة المكثفة بين تكنولوجيا الإعلام والاتصال والمجتمع.[1]

الانترنت تحدث الان تغيرا عميقا في: (الاقتصاد والأسواق، هياكل الصناعات، المنتوجات، الخدمات)، وتؤثر في: (التوزيع، السلوك، والقيم فيما يخص المستهلكين)، وتؤثر في: (سوق العمل، ومناصب الشغل)، ولكن التأثير قد يكون أكبر من ذلك فيما يخص: (المجتمع، السياسة)، وفوق كل ذلك على رؤيتنا للعالم ومكانتنا فيه.[2]

- **الاقتصاد الجديد المبني على المعرفة:** (Nouvelle économie fondée sur le savoir)

يتجسد في نتاج العلاقة بين نظام العولمة وتطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال (TIC)، فهو يرتبط محوريا بتطور بنيات وسائل الاتصال من حيث التصميم والدقة والهندسة، والخدمات الجديدة المتعلقة ضمن هذا التطور، وظهور اقتصاد المعرفة يرتبط بدرجة كبيرة بالابتكارات الحديثة وبالبحث العلمي وتطوره، بهدف انتاج ونشر ما هو جديد في هذه الميادين وتعميم الاستعمال لخلق مجتمع معلوماتي وكذلك إطار اقتصادي وتنظيمي لصالح المؤسسات.[3]

تقاطع تعميم التقنيات الرقمية المبنية على التشفير بالرقمين صفر وواحد (Codage Binaire) لكل أنواع المعلومات مع تطور تقنيات البث، قد أحدثا تشابكا لكل من المعلوماتية، ووسائل الاتصال والإعلام السمعي البصري قد شكل اقتصادا حديثا للمعرفة.[4]

وضمن هذا الطرح قد يتبين استدلال اشتراقي يتجسد في محور الانتقال من مجتمع النمو إلى مجتمع الذكاء، والذي بدوره شكل فئة فقراء المعلومات وأثرياء المعلومات ومفارقة بين عالم الأشياء وعالم الأفكار، وفي ظل هذا التداخل حتمية إنشاء مجتمعا معلوماتيا يتوافق وخصوصية الفرد والبلد الدينية والثقافية والاجتماعية، واحترام كل مكونات الثقافة.

[1]– بومدين مخلوف: السوسيولوجيا القيمية وفضاء الاتصال المستحدث (TIC)، الأيام للنشر والتوزيع، الأردن، 2018م، ص. 125.
[2] Peter Drucker: La Dimension Numérique, Atlantic Monthey, Boston: Octobre,1999.
[3] Hamid Bessolah: apport de la recherche scientifique national dans l'avancement de la société de l'information et de la création de l'économie du savoir, symposium international de TIC, MPTIC, Alger: Decembre2002.
[4] Laurent Cohen Tanugi, Le Nouvel Ordre Numérique, Odile, Paris: Octobre,1999.

- الدولة ومجتمع المعلومات:

شكلت ثورة الاتصال في القرن التاسع عشر (ق19م) من خلال اكتشاف الكهرباء والموجات الكهرومغناطيسية والتلغراف والهاتف والتصوير الضوئي والفوتوغرافي والسينما، ثم ظهور الإذاعة *(Radio)* والتلفزيون في النصف الأول من القرن العشرين (ق20م)،[1] حقل واسع من الاهتمام وقد سميت هذه الفترة بمرحلة وسائل الإعلام والاتصال نظرا لتتابع الاختراعات والاكتشافات خاصة منها الأدوات التي تستعمل لأغراض إعلامية واتصالية.[2]

والمتمعن مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال في هذا العصر قد يلاحظ أنها تلعب دوراً وظيفياً *(Rôle Fonctionnel)* على مستوى الوحدات والأنساق في عملية التكوين والغرس الثقافي، وذلك لما لها من إمكانات من حيث سماتها وقدرتها على تفعيل أسلوب التشويق والإقناع والتأثير، فمن أبرز سماتها:[3]

- التفاعلية *(Interactif)*: أي مشاركة *(Participation)* القائم بالاتصال بدلاً من اعتباره مصدر أو مستقبل، أي أن عملية الاتصال ممارسة ثنائية تبادلية.
- اللاجماهيرية: مضمون الرسالة الاتصالية يمكن أن يتوجه إلى فرد واحد أو إلى جماعة معينة.
- قابلية التوصيل: إمكانية توصيل الأجهزة الاتصالية وفق مختلف أنواع الربط الشبكي المتنوعة.
- الشيوع والانتشار: يعني الانتشار لنظام وسائل الاتصال حول العالم وفي داخل كل طبقة من طبقات المجتمع وكل وسيلة اتصال تظهر في بادئ الأمر على أنها ترف ثم تتحول بعد ذلك إلى ضرورة.[4]

---

[1]– الدناني عبد المالك ردمان: الوظيفة الإعلامية لشبكة الإنترنت، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2001، ص.81.

[2]– محمد لعقاب، مرجع سابق، ص.35.

[3]– حسن عماد مكاوي، مرجع سابق، ص.106.

[4]– بشرى الحمداني: تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في الصحف المطبوعة، دار الرائد للطباعة والنشر، ط1، العراق، 2011م، ص.20.

- اللاتزامنية: التحرر من حتمية الزمان والمكان في إرسال الرسائل واستقبالها.
- العالمية أو الكونية: ساهم تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال في إمكانية تناقل المعلومات بين المستخدمين على مستوى العالم.[1]

وضمن سياق التغيرات التكنولوجية *(Changements Technologiques)* من حيث البناء وسرعة التطور، فقد يمكن وبدقة ملاحظة سلطة *(Domination)* ما يمسى بالاتصال الوسيط *(Médiation de la Communication)*، والذي يقدم للأفراد بدائل جديدة قد تؤدي إلى تراجع القيمة واحتلال وظائف الأسرة والمؤسسات التربوية والدينية، ومنه وكتصور استشرافي سوسيولوجي حتمية التحليل المفاهيمي والتفكيكي *(Déconstruction)* للتحولات القيمية في ظل بروز وكثافة التكنولوجيات الإعلامية الاتصالية، وإعادة قراءة هذا الزخم من التعقد في عمليات الاستخدام وفق علامات استدلالية *(Normes)* قيمية، وتحليل مضمون الرسائل الإلكترونية وفق تصورات ومعايير بنائية أخلاقية *(Ethique)*، وتفعيل العملية الإدراكية على مستوى الأنساق المجتمعية.

- **الهوية والآخر:**

من خلال تتبع مدلول رصد التحولات القيمية في ظل الزخم المكثف لتكنولوجيا الإعلام والاتصال، قد يلاحظ تناقض وصراع ثقافي وأزمة سلوك واختراق قيمي للبناء المجتمعي، ومختلف هذه المفارقات والتوترات والتحولات على مستوى النسق القيمي، قد تتحدد من خلال مؤشرات *(Indicateurs)* داخل الحقل المجتمعي من حيث تغير المكانة وتعدد المركزية، وبروز أنماط سلوكية مستحدثة والتي قد تخترق بعض المعايير المجتمعية، وكذلك الفراغ الاجتماعي من حيث ضعف العلاقات وتراجع أسلوب الاتصال والتماسك كقيمة، كما قد يؤكد الحراك وسرعة التأثر والتفاعل حتمية اندماج العديد من الأبنية النسقية بالمؤثرات الجانبية المحورية المستحدثة، ومن خلال مقاربة ثقافية سوسيوقيمية ومقاربة إعلامية اتصالية قيمية، قد تتحدد بنية المجتمع وتحولاته في ظل اتساع الفضاء الإعلامي الاتصالي.

[1]– إيمان علي عون ورولان عبد الرحمن الجمل: الإعلام الجديد "تكنولوجيا جديدة لعالم جديد"، أبحاث المؤتمر الدولي، جامعة البحرين للطبع، 2009م، ص.508.

وكتصور ثقافي سوسيوقيمي قد يتطلب التطور في الزمان والاختلاف في المكان تفكيك مفاهيمي ومقاربات منهجية ***(Approches Méthodologiques)*** لمختلف تكنولوجيات الإعلام والاتصال كمؤثرات جانبية، بهدف قراءة التحولات العلائقية على مستوى النسق السوسيوقيمي للبناء المجتمعي.

فقد تؤسس هذه التكنولوجيات من حيث التركيب والترتيب والتنظيم جودة إنتاجية "تصميماً وهندسةً"، وسمة أساسية تتمثل في لا مركزية *(Décentralisé)* صناعة المضمون "إنتاج المعلومات" *(Informations de Production)*، والذي قد يختلف والمعايير القيمية المحلية، مما قد يشكل اختراق سوسيوثقافي على مختلف أنساق مؤسسات التنشئة الاجتماعية *(Socialisation)*، وباعتبار هذه التكنولوجيات فضاء معلوماتي للمستخدمين إعلامياً واتصالياً عن طريق استهلاك المعلومات، يتطلب تنظير سوسيولوجي حتمي من حيث الاستخدام وإعادة قراءة المضامين بمستوى علامات استدلالية.

فالحضور المكثف والقوي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال داخل الحقل الاجتماعي، ومن خلال أسئلة عميقة تشخص مواصفات الفرد المعاصر وآلية ممارسته واستخدامه للتكنولوجيا، تتشكل حتمية قراءة النسق القيمي *(Structure de Valeur)* للمضمون المتداخل والديناميكي والملغم والحامل للثقافة الغربية الحديثة، وكتصور استشرافي قد يمارس هذا الزخم المعلوماتي والربط العلائقي والتشابك المعقد تحولات وإقصاءات قيمية ثقافية أصيلة.

وعليه فمركزية *(Centralisé)* هذا التحول قد تتشكل وفق عملية التقارب التكنو إعلامي الاتصالي بمستجداته البنائية وتدفق معلوماته ومستوى قيمة مضمونه "حامل إلكتروني"، وفي ظل التباعد القيمي والثقافي للأنساق المجتمعية "مفارقة"، قد تتشكل سياقات سوسيوقيمية ثقافية مستحدثة ومختلفة، ومنه فقيمة الاتصال في بنية العلاقات داخل الحقل الاجتماعي قد تتأسس وتتأصل وفقا لما تختص به المعلومة كقيمة.

ومنه فمجال التمعن داخل الحقل الاجتماعي المعاصر بمستوى متخصص قد يلاحظ سلطة مؤثرات تكنو إعلامية اتصالية جانبية بسمات خاصة من حيث التطور والتعدد والتنوع والتكامل

ومن حيث القوة وحتمية الاستخدام، كما يمكن ملاحظة تحولات عميقة في أدق بنيات السياق المجتمعي من حيث الربط العلائقي والدور الوظيفي، وحراك تركيبي واسع الانتشار سريع النسق للوحدات المشكلة للسياق الثقافي السوسيوقيمي.[1]

وضمن محور هذه المقاربة "فالتكنولوجيات الاتصالية الحديثة تحمل في داخلها ثقافة المجتمع الذي أنتجها"،[2] وبما أتاحته من وسائل اتصالية متطورة جدا من حيث التنوع في بناءاتها التركيبية التقنية "المعدات والأجهزة"، ووظائفها التكاملية الواسعة مجال الفضاء الاتصالي، قد تساهم بدورها وبشكل أساسي في عملية التثاقف *(Acculturation)*، وإعادة بناء السلوك وفقا لما تقتضيه المضامين الاتصالية الحديثة، وذلك حسب مستوى الوعي *(Conscience)* وآليات الاستخدام ورغبة وتنوع حاجات الأفراد المشكلة للبناء النسقي الاجتماعي.

وقد يعتبر "تعديل السلوك في ضوء إدراك وجود الآخر"،[3] حتمية قيمية للأبنية والأنساق المشكلة للسياق الاجتماعي، فالاتصال والتفاعل داخل الحقل القيمي الثقافي قد يتأسس على وتيرته النسيج المجتمعي، وفي ظل حتمية تكنولوجيات الإعلام والاتصال وتنوع المضامين بها، وغياب أو ضعف التصورات الواعية لدى المستخدمين، قد يجعل الأبنية المجتمعية أكثر عرضة للتوتر وحتى لاختراق الأنساق السوسيوثقافية الأصيلة، ومنه وكرؤية استشرافية حتمية عملية التنظيم الاجتماعي *(L'organisation Sociale)* وتنمية مستوى وعي وإدراك الفرد، وتفعيل أسلوب التصور ولغة التمييز بين السلبي والإيجابي وتعديل السلوك وإثبات القيمة والارتقاء بالثقافة.[4]

[1]– بومدين مخلوف، مرجع سابق، ص. 130.

[2]– جوهر الجموسي: المجتمع الافتراضي، مؤسسة "توفابرنت" للطباعة والنشر، ط1، تونس، 2007م، ص.17.

[3]- *Levi Strauss Claude: Les structures élémentaires de la parenté. Paris. Edition mouton. P.124.*

[4]– بومدين مخلوف، مرجع سابق، ص. 132.